# شخصيات غريبة

obeikandl.com

obeikandl.com

# مالرو .. وقلبـــه النابض

« القلب النابض » هو عنوان الكتاب الذى وضعته « سوزان شانتال » فى شكل روائى عن حياة الوزير الأديب « اندريه مالرو » .. فهى تركز على قصة حب مالرو وجوزيت كلوتيس التى تشبه كثيرا قصة « روميو وجولييت » أو « انطونيو وكليوباترا » أو « تريستان وايزولدة » ..

وقد احتفظت المؤلفة بكتابها ثلاثين عاما ولم تنشره الا بعد رحيل « جوزيت » وبعد أن أصبح مالرو وحيدا حتى وهو مع زوجته « كلارا » .. والمؤلفة تتتبع حياة مالرو منذ نضاله فى أسبانيا ثم فرنسا فى موقعة الالزاس واللورين ثم محاولة اعتقاله ونقله الى المانيا بعد اشتراكه فى المقاومة الى جانب فريق المثقفين المحاربين ـ كما كان يطلق عليهم ـ ثم سجنه واصابته الى أن وضعت الحرب فى نهايتها **نهاية لنضال المثقف المحارب اندريه مالرو .. وأهمية هذا المزج بين النضال وقصة الحب ، انما هو تأكيد على انسانية مالرو ،** ذلك المحارب المحب ، فهو لا ينسى حبه وسط المعارك والاحداث : فى السجن ، فى الخندق ، فى المنفى وفى المستشفى ..

يقول مالرو فى كتابه الشهير « مذكرات مضادة » انى أبحث عن مجهـــول عظيم تدفعنى اليه غـــريزتى ·· وفى هذا يلتقى بشاتوبرييان ، فكلاهما شخصية غير عادية أو سوبرمان ، وكلاهما يضع قناعا كوميديا فوق وجه مأساوى يتمزق صاحبه من الوحدة فوق القمة الباردة ·· هذه التراجيديا الانسانية تراها واضحة فى « الوضع الانسانى » التى يعرفها مالرو بقوله « ان تكون أكثر من انسان فى عالم انسانى هروبا من الوضع الانسانى ، فلن يكون ذلك الا بمقدرة أو بكل القدرة ·· بارادة القدرة أو ارادة التألم » ومن هنا اعجاب مالرو بالاسكندر الأكبر ، لأنه التعبير المثالى عن ارادة القدرة ·· ولقد باشر مالرو ارادته من خلال اشتراكه فى الحربين الاسبانية والفرنسية ·· تلك الارادة التى تمتد الى الابتكار والابداع والاكتشاف ·

وفى مواجهة كل هذه الارادة ، ارادة القدرة ، يقف القدر ·· ولكم كان القدر قاسيا على مالرو ·· اعدم أحد أشقائه ، ومات الثانى فى المنفى ، ولقيت جوزيت مصرعها تحت عجلات القطار ، ولقى ولداه مصرعهما معا فى حادث سيارة ·· أما هو فقد مات بالفعل فى المستشفى ولكنه قاوم الموت بعد ان أعلن الاطباء النبأ ··

وارادة القدرة أو قدرة الارادة لا تتمثل عند مالرو فى مواجهة القدر ومواصلة الحياة فحسب ولكنها تتبلور أكثر فى قدرته على الحب رغم كل هذه التحديات ··

ولهذا يعد مالرو واحدا من عظمـــاء التاريخ وأحد النماذج المثالية النادرة لانسان القرن العشـــرين ، ليس فقط لأنه « القلب النابض » ولكن لأنه أيضا « نبض هذا العصر » ··

وهكذا يجيء كتاب سوزان شانتال « القلب النابض » صورة حية لحياة مالرو وشخصيته وفكره وقدره وليس فقط سيرة عاطفية لعلاقته بمحبوبته وملهمته جوزيت كلونيس ·

والكتاب بعد هذا كله يخرج بشكل جديد فى «أدب السير» حيث تغزل الكاتبة فصول كتابها وكأنها رواية فيها من الخيال قدر مافيها من واقع أو وقائع دون خلط أو جفاف ·

obeikandl.com

## بومبيدو .. مفكرا وناقدا

كان يحب الفن التجريدى والرواية الجـــديدة لأنهما نتـاج عصره ، ولكنه كان يرثى لانحســـار المد الكلاســـيكى ( اليونانى واللاتينى ) فى دعم الثقافة الحديثة وكان يرجو أن يلعب التليفزيون دورا ثقافيا ويقول : « لا يكفى الانسان أن يكون فيلسوفا حتى يصبح عظيما ولكن الانسان العظيم لابد أن يتمتع بحدس فلسفى » .

ان الرئيس التاسع عشر لفرنسا ، ورئيس وزرائها لســـت سنوات فى حكومة ديجول الأخيرة ، حصل على الدكتوراه فى الآداب وكانت له اهتمامات فنية ومؤلفات أدبية أهمها ( مختارات من الشعر الفرنسى ) وأحدثها ( الشعر والسياسة ) ..

وبومبيدو طراز نادر من الساسة المثقفين الذين لم تحظ فرنسا ولا العالم أجمع الا بعدد قليل منهم .. فهو سياسى يتخذ من السلطة وسيلة لتحقيق الرخاء فى الداخل والسلام فى العالم . وفنان يحب الفن ويصادق الفنانين . ولكنه لا يتوزع بين النزعتين أو يدعهما يتصارعان فى داخله ، فقد استطاع بمرونة بالغة ووعى عميق أن يجمعهما فى وحدة بللورية واحدة ، ، يعبر عنها أصدق تعبير كتابه الأخير « الشعر والسياسة » .

فى هذا الكتاب يخالف بومبيدو المفهوم الشائع بان الشعر يمثل السماء ، وان السياسة تمثل الأرض ، ويذهب الى أبعد من ذلك عندما يؤكد أن الشعر ليس فى خدمة السياسة وان كانت السياسة فى كثير من الاحيان فى خدمة الشعر .. أليســت السياســة فى خدمة الانسان ؟ » ..

**فاذا كان الشعر فنا يعيش بالكلمات فان السياسة فعل يعيش** على الأحداث ·· والتاريخ يؤكد أن الشـــعر مرتبط ارتباطا وثيقا **بالحياة السياسية بل هو الدافع دائما الى** « الاصلاح » و «الثورة» ·

عندما أصدر هوجو ديوانه « أفعال وأقوال » كان يجمع بين **الرؤية الشعرية والنظرة السياسية ·· وعندما قال تشرشل عبارته** الشهيرة « ليس لدى ما أقدمه لانجلترا غير الدم والعمـــل والدموع والعرق » · كان يقول شعرا ·

**وكان ديجول يقول شعرا عندما أطلق صيحته المدوية من لندن** عام ١٩٤٠ ·· « مادام المكلفون بحمل سيف فرنسا قد تركوه يسقط مكسورا فانى أجمع اشـــلاءه وأحارب بها ·· وأنت ياكليمنصو فى قبرك السحيق ، هذا هو ١١ نوفمبر فلا تنم » ·

ويسوق بومبيدو أمثلة حية من التاريخ تؤكد صلة الشـــعر بالسياسة : راسين وكورنى وشكسبير وايلوار كانوا ينقلون السياسة الى الشعر كما نقلها اراجون ونيرودا وشعراء المقاومة فى العالم ·

أما الاسكندر فقد ترك مقدونيا متجها الى ضفاف النيل ليموت فى بابل ·· ونابليون ترك فرنسا متجها الى ضفاف النيل أيضا ليموت فى سانت هيلانة ·· وكلاهما كان يحلم بماء النيل وهواء النيـــل وشمس النيل ، **لأنهما كانا ينطلقان من وحى الشعر وضمير الشعر ورؤى الشعر ··**

**واخيرا فسواء كان الانسان العظيم شاعرا فقط أو رجل سياسة فحسب أو كليهما معا فان هدفه الحقيقى الذى يعمل من أجله سواء بالكلمات أو بالافعال لابد أن يكون سعادة الانسان ·**

# أراجون ·· شاعر الحب والمقاومة

ورحل لوى اراجون ، فى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٢ بعد ٨٦ عاما و ٨٢ يوما من مولده بباريس فى الثالث من اكتوبر عام ١٨٩٦ · قرأ وهو فى التاسعة تولستوى ودوستويفسكى وجوركى وقرأ وهو فى الحادية عشرة باريس وستندال والتقى وهو فى الثامنة عشرة ببريتون وسوبو وبيكاسو ، فاندلعت مع الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ) الدادية والتكعيبية واشترك اراجون مبكرا فى المقاومة الأولى ·

« بلغت العشرين وأنا فى الثكنات صبى نحيف يرتدى الملابس الزرقاء يحلم كثيرا ·· ويأكل قليلا » ··

أصدر اراجون المجلة الأدبية التى استوعبت كل التيارات الفكرية والشعرية والفنية الى أن أعلنت فى عام ١٩٢١ انعقاد « المؤتمر الدولى للدفاع عن الروح الحديثة » وأعلنت فى العام التالى مولد السيريالية والتى دفعت الشاعر لوتريامون الى قوله « الشعر لن يكتبه بعد الآن شاعر واحد ولكن الجميع سيقولونه » ·· وكما تميزت السنوات ١٩٢٤ ـ ١٩٢٩ بالثورة السيريالية أصبحت السيريالية فى خدمة الثورة خلال السنوات ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣ ·

وكان اراجون قد التقى بالسا فى السادس من نوفمبر ١٩٢٨ واشترك معها فى مؤتمر الكتاب الثوريين المناهضين للفاشية من خلال دراسة لمايكوفسكى والفلاسفة المحدثين ·

وفى عام ١٩٣٥ اشترك مع مالرو فى التجمع الدولى للكتاب

دفاعا عن الثقافة ٠٠ واضطر للجوء لسفارة شيلى ، وبعدها بدأ مع مجموعة كبيرة من الكتاب والفنانين الاعداد لسبل المقاومة ، وبحكم دراسته الطبية تعهد بالخدمات الصحية والاسعافات الأولية ، ولكنه لم يكف عن الكتابة باسم مستعار ٠٠ وحرم من حقوقه المدنية لفترة عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٤٨ عقابا على مقالاته ٠

وبعد رياسته لمجلة الآداب الفرنسية ، دخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى وحصل على جائزة لينين للسلام ٠٠ فلم تكن الثورة تتمثل عنده فى هؤلاء الذين يثورون من أجل الجوع فحسب ولكن فى هؤلاء الذين يثورون أيضا من أجل الحرية ٠٠ فهو يقول : كم تساوى الحياة ـ الحرة الكريمة ـ لكى نشقى من أجلها ٠٠ كما كان يقول : لم أكن أبدا الانسان الذى انا هو ٠٠

هذه الأقوال وغيرها عن حياته وكفاحه وحبه تركزت فى ديوانيه « العيون والذاكرة » ١٩٥٤ و « الرواية التى لم تتم » ١٩٥٩ ، فهما بمثابة الترجمة الذاتية ٠٠ أما دواوينه الأخرى فقد تعددت الثلاثين ديوانا أولها ظهر عام ١٩١٩ بعنوان « نار السعادة » وآخرهـــا ظهر عام ١٩٦٦ بعنوان « رثاء الى بابلو نيرودا » ٠٠ أما أهم هذه الدواوين جميعا فهى « عيون السا » و « مجنون السا » و « فى بلد غريب فى بلدى ذاتها » و « احبيك يابلدى فرنسا » و « لن يجىء عام الفين » ٠٠ وأما رواياته ودراساته فقد وصلت هى الآخرى الى أكثر من ثلاثين كتابا أهمها : « فلاح من باريس » و «الاحياء الجميلة » و « من أجل واقعية اشتراكية » و « هوجو شاعر واقعى » و «الكذب الصادق » ٠

ورغم كل هذا الانتاج الوفير والخصب معا نراه يقول : « شىء غريب فى نهاية الأمر ان العالم سأرحل عنه يوما دون أن أقول كل شىء » وهو الذى قال أيضا :

« الحياة بالنسبة لى مسرح نجىء اليه من بعيد ، بعيد » ٠

وان كان يعلم تماما ان « الفن ليس هو نهاية هذه الحياة ، وان الشعر ليس هدفا فى حد ذاته ، فهما معا التعبير المباشر المحكوم بالأفئدة عن الوقائع المعاشة ، ومن هنا عرف مايسمى بالشعر الثورى والشعر الوطنى ٠٠

ولقد استخدم « اراجون » اللغة الفلسفية والحوار الداخلى والوصف الدقيق للاشخاص والأشياء والمشـــاعر ، حتى قبل أن يستخدمها « الان روب ـ جرييه » وكتاب « الرواية الجديدة » فى فرنسا فكان بمثابة المبشر والمنظر ٠٠ ولكنه عرف أيضا لغة الجماهير الخطابية أو اللغة الدارجة التى تقترب من البيانات والاحصائيات حتى فى اشعاره ٠

وهكذا عاش « اراجون » ومارس كل التناقضات والمتناقضات سواء فى الحياة الاجتماعية أو الوجود الفكرى ، فالمادية والسيريالية تتناقضان تماما مع الواقعية ، وكذلك تتناقض الفردية والمثالية مع الاشتراكية فضلا عن المادية الجدلية ٠

وتوقف « اراجون » عند تعبيرات كثيرة مثـــل « بروليتاريا الروح » و « حرية الروح » و « البروليتاريا العالمية » و « رأسمالية الفكر » و « البورجوازية الثورية » و « التحرر والانحلال » و «التقيد والالتزام » و « الوجودية والعبث » ، ولكنه ادرك أن الحرب هى التى فجرت كل هذه المتناقضات وأكدت كل ذلك التناقض ، وكان عليه أن يصل وأن يدعو للعمل ـ كما نادى ماركس من ناحية وروسو من ناحية أخرى ـ على تغيير الحياة وقتما يتغير العالم ٠٠ أما الأسلوب فهو ليس على طريقة الفرديين الذين يتجاهلون العالم أو يخضعونه لقوانينهم ، ولكن على هيئة وجود جماعى يربط العالم بالانسان والانسان بالعالم ٠

وفى هذا يقول روجيه جارودى « لقد كان دخول اراجون الحزب التزامـــا بصـــراع ضـد صـراع لم يكف عن اظهـار آلامـه المتوالية » ٠

ولعل هذا ما دعا «أراجون» الى التفكير فى « الانتحار » مثلما فعل كامو ـ كحل للوجود ، ولكنه لم يقره ولم يأخذ به ولم يقدم عليه ٠ فقد كان يبحث فى المجهول عن المطلق ، وكان يشقى فى سبيل سعادة الانسان فى عالم متقدم ومتطور ومتحضر ، حتى رحل الى المجهول وان لم يكن بشكل مطلق ٠

obeikandl.com

## باربوس .. بين الجحيم والنار

ولد « هنرى باربوس » فى مدينة آزونيير الفرنسية عام ١٨٧٣، فى السابع عشر من مايو على وجه التحديد ، لابوين ميسـرين ، فوالده كان كاتبا مسرحيا مرموقا ، وكانت والدته سليلة أسـرة عريقة .. اضطر أبوه الى رعايته الكاملة رغم مشاغله ، بعد موت أمه ولم يتجاوز الصغير سنوات عمره الست ، فأخذ يوسع مداركه الأدبية الى جانب دروسه التى يتلقاها من مدرسـته الابتدائية ثم الثانوية ، الى أن انتقل الى مدرسة المعلمين العليا بباريس ثم كلية رولان حتى انتظم فى جامعة السوربون متخصصا فى دراسة القانون.

وكان « باربوس » مولعا بالأدب منذ الصغر ، موهوبا فى مجال الشعر والكتابة ، ولكنه كان يتميز دائما بالفكر والتفكـير بحيث تفجرت ملكاته وقدراته فى قاعات الجامعة وأبهائها وردهاتها ، الأمر الذى لفت اليه أنظار أساتذته وجمع حوله زمـلاءه من الثوريين المتحمسين للعدل الاجتماعى انطلاقا من مفهوم المسـاواة والاخاء والحرية ، وهى المبادىء التى أصبحت دستورا للثورة الفرنسـية والمجتمع الفرنسى بعد ذلك وحتى الآن .

ومزج « باربوس » وهو لايزال طالبا فى السـوربون ـ يفوز بالجوائز الأدبية وبأعلى التقديرات الدراسية ـ بين الكتابة والفكر ، بين ما كتبه ، وبطريقـة « واقعية » رغـم انتشار المذاهب الأدبية المختلفة وأبرزها « الرمـزية » بزعـامة فرلين ورامبو ومالارميه « والكلاسيكية » التى كانت تمتد بجذورها المحافظة وقيمها الجامدة وقوانينها الصارمة ، فقد وجد ان كلا المذهبين يعيش فى الخيـال

والأوهام مبتعدا عن آلام الناس وآمالهم منفصلا عن أرض الوطن والعالم الذى نعيش فيه ٠

وأصدر « باربوس » أول عمل أدبى له عام ١٨٩٥ ، وهو ديوان « النائحات » الذى كان سببا فى تعرفه بالكاتب الواقعى « كاتيل مانديس » وابنته التى صـــارت زوجة له ، واســـتطاعت بثقافتها وشاعريتها ان تساعده كثيرا وان تسعده أكثر ٠٠

أما الديوان الأول فقد أحدث ضجة فى الأوساط الأدبية ، وظن الجميع أنه يعنى ميلاد شـــاعر ينبىء بمســـتقبل باهر ٠٠ ولكن « باربوس » هجر الشعر بسرعة لما أحس فيه من تعال على رجل الشارع من ناحية والواقع الثورى من ناحية أخرى ٠٠ فاتجه الى الرواية لأنها تمثل فى رأيه مرآة المجتمع ، قاعه قبل سطحه ، ولأنها ضمير الشعب بكل فئاته وعلى اختلاف طبقاته ٠٠ فأصدر عام ١٩٠٣ رواية « المتضرعون » وفيها يحاول ان يمسك بالوسط الذهبى ، ذاته وذكرياته من ناحية ، ومعاناة الجماهير وتمنياتهم من ناحية أخرى ، بالنضال والكفاح » ٠

وفى هذا العام نفسه ١٩٠٣ أصدر « باربوس » أهم رواياته على الاطلاق « الجحيم » وفيها تتأكد موهبته ويكتمل نضجه وتتضـــح رؤيته ويتميز أسلوبه وتتبلور لغته ويتحدد هدفه وبرغم ان الرواية تكاد تندرج تحت شكل المذكرات أو الترجمة الذاتية ، الا أن البطل يتحول الى نموذج للكل ٠٠ بطل لا نعرف اسمه ، فلا ضرورة لذلك ، فهو يقول « ليست لى عبقرية ، ليست لى رسالة ، ليس لى قلب كبير ، لا شىء عندى لا أساوى شيئا ، ورغم كل هذا فانى أريد تعويضا من هذه الحياة » ٠٠ ان عبقريته ليست الا بالآخرين ورسالته هى رسالة الآخرين وبهم ، فاذا كان قلبه يخفق فى الآخرين ، فلا شىء يفضل الناس عنده ، وهذا هو التعويض الذى ينادى به ويطلبه من الحياة ، ان يكون دائما بين الآخرين ومنهم ، وعندما يقرر أن ينتحر

كفرد ليحيا فى المجموع ، لا يشعر بأية خسارة ، بل على العكس تنتابه سعادة لاتعدلها سعادة لأنه تحول الى انسان آخر ، انسان غيره ، انسان رمز وليس انسانا فردا ·· وهو يفرض على ذاته هذا الاحساس بالجماعية رافضا فرديته ، مخفيا حقيقته ، مندمجا فى الكل ·· وبدلا من أن يكون « الكل فى واحد » أصبح « الواحد فى الكل » ··

وقبل أن يصدر روايته الرائعة الأخرى بعنوان « النار » عام ١٩١٦ ، نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « نحن الآخرون » عبارة عن ثلاث مجموعات هى « الشهرة » و « الرحمة » و «جنون الحب » ·· وتتشابه المجموعة الأولى مع المجموعة الأخيرة فى سمة مشتركة هى الشاعرية المثالية الرومانسية على طريقة « جى دى موباسان » بينما تنفرد المجموعة الثانية والوسطى بالواقعية الشديدة التى تجنح نحو طريقة « اميل زولا » الطبيعية ··

اما رواية « النار » فتدور أحداثها وحوادثها حول الحرب العالمية الأولى متخذة شكل المذكرات التى سجلها الكاتب بنفسه اثناء المعارك والخنادق والاقتحام والمقاومة ·· وقد نال « باربوس » عن هذه الرواية « جائزة الجونكور الكبرى » فى العام التالى لنشرها ·

واختتم « باربوس » هذه المرحلة الثورية فى اطار الحرب برواية « الضياء » التى ظهرت عام ١٩١٩ تعبيرا عن فكر المثقفين ورأيهم فى الحروب بشكل عام ·

وقد تنوع انتاجه بعد هذه المرحلة ، فبدأ بديوان شعر ـ بعد انقطاع طويل ـ اسماه « بعض زوايا القلب » ثم كتب رواية بعنوان « النور فى الهاوية » ثم «أحاديث محارب» ثم رواية « الجلادون » فكتاب « الاغلال » الذى ظهرت فيه اراؤه السياسية لاول مرة ، وهو كتاب ضخم يؤرخ لصراع الطبقات عبر التاريخ فى معظم انحاء

العالم ، ويتسع هذا الكتاب المثير لدراسة انسانية اسماها «الحقائق» ثم لبيانه الشهير « الى المثقفين » ..

وفى عام ١٩٣٢ أصدر ما عكف عليه منذ سنوات ، كتابين عن « زولا » و « جوته » .

وفيما عدا التأليف الخالص عمل « باربوس » بالصحافة منذ مطلع عام ١٩٠٨ ، وبعد سنتين فقط تولى رئاسة تحرير مجلة «أعرف كل شيء » .. بعدها رشح لعضوية مجلس تحرير جريدة «لومانيتيه» ولكنه أصدر عام ١٩٢٠ مجلة شهرية ، هى التى تحولت فيما بعد الى الجريدة المسائية المعروفة « لوموند » .

وفيما عدا التأليف الخالص والصحافة الأدبية كان « باربوس » خطيبا ، يخطب فى الناس ، لا فرق عنده بين اجتماعات عامة وتجمعات ميدانية ، وفى كل الأحوال كان يدعو الى نبذ الحروب ونزع السلاح ومعاداة الاستعمار ، مؤمنا بما اسماه « الدولة العالمية » منشئا تجمعا ضم كل الكتاب الأحرار المناهضين لعبودية الانسان الداعين لانتصار الشعوب وهو ما سمى باتحاد العقليين ..

ولم يكتف بذلك ، فرأس جمعية أخرى لمكافحة النازية والفاشية عام ١٩٣٣ .. واشترك فى جمعية استقلال سورية ولبنان ونادى بتحرير باقى الدول العربية والهند وعدد من الدول الافريقية ، حتى انتهى به المطاف الى عقد « المؤتمر الثقافى العالمى » بباريس عام ١٩٣٥ .

ولا غرابة فى اتخاذ « باربوس » لكل هذه المواقف ، فقد جند فور اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وحارب بشجاعة فائقة ونصب عينيه السلام ، فمنح وسام « صليب الحرب » بعد أن جرح أكثر من مرة جراحا غائرة وخطيرة وخاصة خلال معارك « ارتوا »

و « بيكاردى » عام ١٩١٦ ٠٠ وأعفى من الجندية فى العام التالى ، ولكن أهوال الحرب وويلاتها تركت فى نفسه آثارا بليغة ، أبلغ بكثير من جراحه ٠٠ حتى أنه أطلق على قرننا العشرين لقب « عصـــر الدماء » بعد أن سجل شهادته فى مجموعة قصص قصيرة أسماها « شهدته بنفسى » ورواية أسماها « المؤخرة » تعد من بواكير الرواية العلمية » اذ تخيل عالمنا وقد غمره الغاز الذى يجمد كل شىء بما فى ذلك الانسان نفسه ، بحيث لا يقدر على الحركة ولا على دفع الموت الخاطف دون أن يفرق بين حاكم ومحكوم أو بين ثرى وفقير ٠٠ وكان « باربوس » المعروف بعدائه للقوى المتسلطة يستدعى فى داخله « شمشون » وصيحته المدوية الشهيرة « على وعلى أعدائى » ٠

وتوفى « هنرى باربوس » بعد معاناة فى مستشفى « الكرملين » فى السابع والعشرين من أغســـطس عام ١٩٣٥ ، عن عامين فوق الستين ، وقد فقد فيه الأدب أديبا متميزا ، وفقد فيه الفكر مفكرا بارزا ، وفقد فيه الانسان العالمى زعيما من أكثر الزعماء دفاعا عن حريته وخلاصه ٠٠

## ساروت .. فى القاهرة

جاءت الى القاهرة الكاتبة الفرنسية « ناتالى ساروت » كبيرة كتاب « الرواية الجديدة » فى فرنسا ، بدعوة من «الجامعة الامريكية» لالقاء سلسلة من المحاضرات عن « الرواية » .. وفى ختام زيارتها الاكاديمية والسياحية دعاها الأستاذ يوسف السباعى باسم « الاهرام » الى « غداء ثقافى » أشرف عليه الدكتور لويس عوض الذى دعا عددا مختارا من أهل الفكر والفن لمصاحبتها واتيح لى أن أقدم لها الترجمة العربية لأول كتبها « انفعالات » فمن هى ناتالى ساروت ؟

ولدت ناتالى فى الثامن عشر من يوليو عام ١٩٠٢ ونالت ليسانس الآداب والحقوق من السوربون وعملت بالمحاماة حتى عام ١٩٣٨ وكانت قد تزوجت من المحامى الفرنسى ريمون ساروت عام ١٩٢٥ وأنجبت ثلاث فتيات .. وما أن وضعت كتابها الأول « انفعالات » حتى هجرت المحاماة فى نفس العام ١٩٢٩ .. وكتبت ساروت بعد ذلك خمس روايات : « صورة مجهول » ١٩٤٨ ، قدمها سارتر ، و « مارتيرو » ١٩٥٣ و « الكوكب السيار » ١٩٥٩ ، و « الفاكهة الذهبية » ١٩٦٣ ، نالت عنها جائزة الأدب العالمية الرابعة ، و «بين الحياة والموت » ١٩٦٨ .. كما أصدرت كتابا نقديا بعنوان « عصر الشك » ١٩٥٦ ـ قمت بترجمته الى العربية أيضا ـ وكتبت تمثيليات اذاعية أهمها « الصمت » و « الكذب » ومسرحيات من ذات الفصل الواحد أهمها « أسما » و « هل تسمعونهم » .

وماذا عن الرواية الجديدة ؟

بدأت الرواية الجديدة طريقها بظهور « انفعالات » ساروت ثم ظهرت « صورة مجهول » لنفس الكاتبة ·· وبعد ذلك زحف الركب وتقدم الموكب بحسب الترتيب التاريخي كل من « كلود سيمون » و « مارجريت دوراس » و « صمويل بيكيت » و « روبير بانجيه » و « آلان روب ـ جرييه » و « ميشيل بيتور » و « كلود موریاك » و « فيليب سوللير » ·· وقد أعلن كل هؤلاء ثورتهم على الرواية التقليدية بدءا بالزمن ثم بالبناء الفعل والفاعل وكل ماهو حي والتمسك فقط باللاشعور واللا وعي وكل ما هو جماد أو شيء ·· فالرواية الجديدة **تصف الشيء كما هو متجاهلة تماما الشخصية** والحبكة والمضمون لأنها ترى أن الشخصية البطولية نزعة بورجوازية والقصة المنطقية استقرار غير واقعي والتفرقة بين الشكل والمضمون تفرقة زائفة ··

وتنقسم الرواية الجديدة الى **مدرستين الأولى تسمى مدرسة** « النظرة » بقيادة روب ـ جرييه وبيتور ودوراس ويتخذون من « فلوبير » رائدا ، **والثانية تسمى مدرسة « الباطنية » بقيادة ساروت** ومثلها الاعلى ، وبيكيت ومثله الاعلى جويس ··

ويرى البعض أن الرواية الجديدة ان هي الا تعبير حضاري عن حالة حضارية ، تعبير لا معقول ولا منطقي عن حالة الغربة والضياع واللاجدوى التي عاشها انسان ما بعد الحرب العالمية الثانية فرواية الخمسينات قد عبرت عن أزمة انسانها في اطار تقليدي وهاهي الرواية الجديدة تجيء لتوائم بين الشكل والمضمون حتى تكون أكثر اتساقا ·· فان بدت غير متسقة فتلك هي غايتها ، التعبير عن عدم اتساق الكون بما في ذلك الانسان عن طريق تحطيم العلاقات المنطقية بين الاشياء ، واعدام شخصية الانسان والغاء وجود الزمن وتفكيك سلسلة الاحداث وتفتيت روابط اللغة · ثم احلال الاشارة والحركة والصمت بدلا من الكلمات أو وضع هذه الكلمات بطريقة

متناثرة ضائعة لتعبر أصدق تعبير عن الانسان الذى تعنيه ، الانسان ذلك الغريب الضائع ..

ومفتاح الرواية الجديدة كما يقول « روب – جرييه » هو الشخصية التى ليس لها ماض ولا قدر ولا أعماق .. ولكنها شىء فى سبيل الاكتشاف لا يتكون الا فى رأس القارىء بوصفه الشخصية الوحيدة الحية فى الكتاب .. فكيف يمكن للقارىء ان يقتحم عالم الرواية الجديدة بدون هذا المفتاح وخاصة اذا كانت سلسلة الأفكار القديمة لاتزال تسيطر عليه ، مثل الموضوع الذى له بداية ووسط ونهاية ، والعقدة التى تتكون وتنفرج بعد ان تكون قد وصلت الى الذروة ، والشخصيات الواضحة المعالم التى تكاد تكون انماطا .. ان لغة الرواية الجديدة فى الواقع هى « لغة الصمت » فكيف يمكن أن يقرأها من لم يتعلم حروفها بعد ؟

سارتر مثلا أطلق عليها مصطلح « ضد الرواية » وعرفها بانها تقدم روايات خيالية شخصياتها وهمية ..

ولكن تعريف سارتر لا يعنى أن الرواية الجديدة قد نبذت القيم والمبادىء والاخلاق .. والدليل تخطى ساروت تحليل المشاعر الى وصف الانفعالات ذلك أنها تغوص فى الواقع الداخلى لتستخرج رواسب الماضى والحاضر والمستقبل من أحشاء اللاشعور فتستخدم العبارة المتصلة ولكنها تنثر الكلمات القصيرة احيانا والمتقطعة أحيانا أخرى تعبيرا تلقائيا عن انطباعات حية ودقيقة معا .. وتتمتع ساروت بحاسة النفاذ الى خلايا الانسان الحية ولهذا تظل كتبها « صعبة » و « شيقة » فى الوقت نفسه على الرغم من تطويرها سيكولوجية دوستويفسكى الى ما يمكن تسميته بما وراء التحليل النفسى .

تقول ناتالى ساروت « الرواية فن يستهدف أحداثا تؤدى الى تغيير فى شعور القارىء .. هذا التغيير يتمثل فى تلقى كل ماهو

جديد وحى بصرف النظر عن الاهتمام بالمغزى أو بالحكمة أو بأى شىء آخر ٠٠ ان ما يميز الرواية الجديدة ، ليس طموح التقليديين ومقدرتهم على الخيال ، ولكنه الرفض الذى نواجه به الواقع » ٠٠

والواقع ان الرواية الجديدة تعد نهاية لحركة استمدت رؤاها من الوجودية كمذهب انسانى وفكرى ٠٠ ولما كانت هذه الرواية الجديدة قد جاءت لتعبر عن عبث الوجود بعد ما أصيب بانتكاسته الكبرى التى تمثلت فى الحرب العالمية الثانية فان عودة الحياة الى طبيعتها تتطلب قيام أدب « يبنى » بديلا عن هذا الأدب « المخمور » الذى اسكرته وكان لابد أن تسكره ، صدمات تلك الحرب اللاانسانية المروعة ٠٠ فاذا خفت صوت الرواية الجديدة بعد نصف قرن من العطاء ، فهذا ايذان بأن رواية جديدة أخرى فى طريقها للميلاد ٠

obeikandl.com

## بورشيه ٠٠ وغيد ميلادها المئوى

بدأت حياتها ممثلة على خشبة المسرح فاثرت فى جيل فنى بأكمله ٠٠ ثم اتجهت الى الأدب فكتبت خمس مسرحيات عرضت جميعها واشتركت فى معظمها وهى « اميلى برونتى » و « النزول الى الجحيم » و « الشجيرات البيض » و « الملك » و « سيدتان وخادم »٠ كما كتبت أربع روايات نالت عنها « جائزة الاكاديمية الفرنسية » لأنها تعد علامة على طريق « الأدب النسائى » وهى « الفوضى » و « أيام الغضب » و « الجنة الأرضية » و « الحفل المتأجج » ٠٠ وبعد أن بلغت السبعين اتجهت الى كتابة المذكرات فنشرت تجاربها بأسلوب أقرب الى الرواية مثل « تحت شمس جديدة » و « الرواية الأخرى » و « ماتبقى من القول » ٠٠ وبعدها تفرغت لمعاونة زوجها « فرنسوا بورشيه » فى عمله الصحفى كسكرتير تحرير لاحدى المجلات الفنية الأسبوعية فالهمته الكثير من الأفكار المبتكرة ، هى التى الهمت من قبل مجموعة كبيرة من الأدباء مثل « هنرى باتاى » الذى اهداها مسرحيته « الابتهاج » ومثل « ستيف باسور » الذى اهداها مسرحيته « المشترية » ومثل « الان فورنييه » الذى أهداها روايته « مون الكبير » والتى عرضت على شاشة السينما ٠٠

ونتيجة لجهودها وخبرتها اختيرت عضوا بلجنة « جائزة فيمينا » التى لا تضم غير النساء ولكن لم يفز بالجائزة نفسها حتى الآن غير الرجال ٠٠ كما اختيرت لتقديم برنامج أسبوعى لراديو باريس تتحدث فيه عن فن المسرح وخبرتها فى هذا المجال الحيوى الهام ٠٠

وعندما بلغت « سيمون » عامها التاسع والتسعين ـ وكان عام المرأة العالمى ـ عكفت على اعداد كتاب ضخم بعنوان « وصيتى الجديدة » يضم كل خبرتها فى الفن والحياة ٠٠ وقد صدرت هذه الوصية فى مناسبة عيد ميلادها المئوى الذى احتفلت به الأوساط الفنية والأدبية فى فرنسا ، وامتد هذا الاحتفال الى عدد كبير من دول أوروبا ، وكان علينا أن نشارك فيه ولو بالتعريف بهذه المرأة التى استطاعت أن تســـاهم بجهد وفير فى خدمة الأدب والفن أو المجتمع الانسانى بصفة عامة وفى خدمة مجتمعها أو مجتمع المرأة بصفة خاصة لأنه المجتمع الذى تنتمى اليه ، بنظرة موضـــوعية وليست متحيزة ٠

## مابيه ·· الروائية الأولى فى كندا

انطونين ماييـــه ، ولدت وتعيش فى مقاطعة « الاكـــادى » الكندية·· وهى المقاطعة الفرنسية التى تقع على الاطلنطى وعاصمتها اننا بوليس ـ بعد أن كانت بورويال ـ وقد انشئت عام ١٦٠٤ عن طريق الفرنسيين النازحين بقيادة « شامبلن » ·

عملت « انطونين » بالتدريس الثانوى والجامعى ، لتعلم الناس أولا من خلال العلم ثم من خلال الأدب ·· ولكى تكسب عيشها من التدريس ـ كما تقول ـ لتستطيع أن تنفق على الادب ، فالأدب فى وطنها لا يكسب عيشا ·

وهى الروائية الاولى وأول روائية ، لأن الاكاديين ليس لهم تراث مكتوب أو مدون ، فقد عرفوا الآداب والفنون شفويا بالوراثة والتوارث ·· وهكذا جاءت روايتها الأولى « بيلاجى لاشاريت » تفسيرا لظاهرة التوارث هذه ، ليس فقط فى الأدب والفن ولكن فى العادات والتقاليد أيضا ·· فالتاريخ يقول أن عام ١٧١٣ شهد صراعا دمويا من ناحية وصراعا آخر على موائد المفاوضات بين فرنســـا وانجلترا حول ملكية كل منهما للمنطقة · أما السكان أنفسهم فقد أدركوا منذ البداية انهم أصحاب الأرض الحقيقيون وأنهم يدفعون ثمن الاحتفاظ بها ·

تقول انطونين : « وجودنا ذاته وحياتنا والموت والميلاد ، مزيج من الأشياء الملموسة والأشياء التى تستغلق على الفهم ، وبالتالى نلوذ بالخيال أو نلجأ الى الاساطير » ·

ورواية انطونين الأشهر ، تحمل اسم « ساجوين » ·· شغالة

كل الشغالات ، تبلغ السبعين من عمرها ، أصابها المرض ولكنها تواصل العمل حتى تعيش ٠

تقول ساجوين : « المرض فى بطنى ٠٠ والبطن هى البداية وهى النهاية ٠٠ منها نولد وبسببها نموت » انها تحكى حكاية شعب، ولذلك جاءت الرواية على شكل مونولوج ٠٠ ولأن ساجوين كانت ماهرة فى تنظيف الأرضية ، فقد كانت تمشى على أربع ولكنها كانت ـ مثل كل شعبها ـ مرفوعة الهامة ٠٠ تقول « لست كندية ولا فرنسية ولا أمريكية ، أنا أكادية ، لأن الاكادى ليس بلد ولكنه شعب ٠٠ »

وعلى الرغم من أن انطونين الروائية ، امرأة ، وبطلاتها « بيلاجى » و « ساجوين » و « ماريا » من النساء ، الا أنها ترفض اطلاق تعبير « الأدب النسائى » على كتاباتها ، وتقول ، ليس أدبا نسائيا ، ولكنها الحقيقة ، فالرجال اما قتلوا أو سجنوا أو هربوا ، وبقت النساء ٠٠ والرجال يذهبون للصيد ويغيبون بالاسابيع ، وتبقى النساء ٠

ومع هذا أخذ جيل جديد من الشباب الواعى الواعد يشق طريق الادب من خلال الرواية والقصة والشعر والمسرح ٠٠ لان « انطونين ماييه » تعد حالة استثنائية وسط حالة استثنائية عاشها جيلها ، جيل بأكمله ٠٠ فقد ولدت فى أسرة تهوى الثقافة ٠٠ والدها باع أرضه من أجل تعليم أبنائه ٠٠ وتعلمت « انطونين » فى بلد لا يعرف ولا يعترف بتعليم البنات ٠٠ وكانت قد قررت منذ البداية ان تصبح كاتبة ، أول كاتبة فى وطنها ، خاصة وأن الكثيرين ظلوا يحلمون بكتابة تاريخ هذا الوطن ، وعلى رأسهم أمها التى كانت تعلم وحدها أن أول كاتب سيكون من قريتها « بوكنوش » ٠ وكم كانت سعادتها عندما تحققت نبوءتها التى فاقت كل أحلامها ، فان ذلك الكاتب المنتظر قد ظهر فى حياتها وكان هو ابنتها « انطونين ماييه » الروائية الأولى فى كندا ٠٠

## أجاثا ٠٠ امرأة ساعدها الحظ

« لم افاجأ بشيء قدر مفاجأتى بالشهرة التى وصلت اليها،وان كنت أتمتع حقا بذكاء حاد وأقبل على العمل بجد وأحيا حياة المرأة البسيطة التى لاقت كثيرا من حسن الحظ ٠٠ » ٠

هكذا قالت « اجاثا كريستى » فى كتابها الأخير « قل لى كيف تعيش ؟ » وهو شيء آخر ومختلف تماما عن الرواية البوليسية التى تخصصت فيها الكاتبة وحققت شهرتها من خلالها ، فالكتاب أقرب الى « أدب الرحلات » والى « السيرة الذاتية » فى الوقت نفسه ٠٠ و « اجاثا كريستى » التى توفيت عام ١٩٧٦ عن خمسة وثمانين عاما وثمانين رواية بوليسية وثروة تقدر بعشرة ملايين جنيه استرلينى ، اسمها الحقيقى « مارى كلاريسا اجاثا ميللر » فوالدها فريد ريك ميللر كان من اثرياء نيويورك ، تزوج فى رحلة الى انجلترا من سيدة ترعى الاطفال وتعلمهم مبادىء الدين رغم انها غيرت دينها الأصلى خمس مرات ، فقد كانت كاثوليكية المولد ولكنها وصلت الى حالة من الصوفية التى تتصل بالخالق مباشرة ٠

أنجبت هذه السيدة المؤمنة ابنتها « اجاثا » عام ١٨٩٠ ، وبعد أحد عشر عاما توفى الزوج الامريكى وأخذت الأم تقرأ لابنتها مغامرات شرلوك هولمز ، بينما كانت الابنة مشغولة بالغناء الأوبرالى لتمتعها بصوت جميل دون أن يكون صوتا قويا ٠٠ وفى عام ١٩١٢ التقت « اجاثا » بطيار اسمه « ارشيبالد كريستى » تزوجته وحملت اسمه ولكن الحرب فرقت بينهما ٠٠ ذهب هو الى جبهة القتال وعملت هى متطوعة فى أحد المستشفيات العسكرية ٠٠ فى هذا المستشفى

تعرفت « اجاثا » لأول مرة على السموم الفتاكة ودرست كل مايتعلق بها ، كيف تقتل ، ومن تقتل ، ولماذا تقتل ؟ ٠

وفى احدى الحفلات الاجتماعية الكبيرة عاشـــت « اجاثا » أحداث جريمة قتل تمت بدس سم زعاف فى الطعام ، فعادت الى مراجعها العلمية وكتبت أول رواية بوليسية لها وهى المعروفة باسم جريمة الحفل وقدمت « اجاثا » روايتها الى أكثر من ناشر ولكنهم جميعا رفضوها واستنكروا موضوعها وأسلوبها أيضا ٠٠ الى أن اتصـــل بها مدير دار نشـــر « بودلى هيـــد » فى اعقـــاب الحرب وسلمها عقدا ومبلغا يقدر بخمسة وعشرين جنيها ، مما دفعها بعد ظهور روايتها الأولى الى كتابة روايتين تولى الناشـــر نفسه نشرهما وهما « مستر براون » و « جريمة الجولف » ٠

وفى عام ١٩٢٦ اصدرت « اجاثا» رواية «مقتل روجيه اكروبيد» التى حققت شـــهرة كبيرة ووضعتها على بداية الطريق جنبا الى جنب ابنة اسمتها « روزالند » وسيارة صغيرة وناشر جديد اسمه « كولنز » ٠

ولكن احداثا مفاجئة ومتلاحقة تكاد تودى بالروائية الشـابة وهى بعد على أولى درجات سلم النجاح والمجد ٠٠ ماتت امها على اثر أزمة قلبية وانفصل عنها زوجها وفقدت ابنتها الثانية « موريس » دون أن يعثر لها على أثر ٠٠ ومع هذا لم تقل شيئا حتى مذكراتها التى ظهرت بعد وفاتها بعام واحد ٠

وتمر الأعوام دون أن تمسك « اجاثا » بالقلم ، الى أن تلتقى عام ١٩٢٠ فى مدينة بغداد بالعالم « ماكس ماللووان » وتتزوج منه وتعود الى الكتابة وفى رصيدها رواية ترجمت الى عدة لغات ٠

تقول « اجاثا كريستى « مستغربة » اعتدت الا أفكر فى رواية جديدة الا وأنا آخذ حمامى ومستلقية تماما فى البانيو ، اقضم تفاحة حمراء » ٠

والغريب أكثر انها كانت تدخل الحمام عندما تتعثر الاحداث على قلمها لتخرج منه بلغز جديد أو بحل للغز شائك ٠٠

وقد قامت « اجاثا » بزيارة الى كل من سوريا ومصـــر مع زوجها الأخير الذى أضافت اسمه الى اسميها حتى بعد ان نالـت شهرتها ، فاصبح اسمها الثلاثى « اجاثا كريستى مالووان » بهذا الاسم كتبت فى سوريا « الموت ليس نهاية » وكتبت فى مصر « موت على النيل » التى تحولت الى فيلم سينمائى امريكى ٠٠٠

# بيلو ٠٠ الفائز بجائزة نوبل

يقول هنرى براندن « ان مظهر الكاتب الأمريكى « صول بيلو » ونظراته الثاقبة تجعله يبدو جريئا ومقداما وان علت وجهه ابتسامة رقيقة ٠٠ وهو لهذا يختلف عن بطل روايته الشهيرة أو أشهر رواياته « هيرزوج » ٠٠

و « هيرزوج » هى خامس أعمال الكاتب وليس آخرها ، تليها فى الشهرة والانتشار رواية « صانع المطر » التى نشرت قبلها بسنوات ٠٠ و « هيرزوج » مدرس متواضع نشر كتابا حقق له شهرة كبيرة ظل يعيش عليها رغم أنه محارب قديم ، ولكن فى معركة الحياة ، ومعركة الحياة الزوجية بصفة خاصة ٠

فقد تزوج مرتين وخلف له الزواج متاعب كثيرة اقلها ابنته الصغيرة ، يجتين ٠٠ والواقع ان ذكريات هذا الزواج الغريب هى التى تشكل النسيج الحقيقى للرواية حتى ان السياق لكثرة اتساقه وصدقه يوحى بأن الاحداث واقعية ، وقعت للكاتب نفسه ٠٠ ويتساءل هيرزوج هذا من حين لآخر عما اذا كان مصابا بالجنون ، حتى يقنع نفسه فى النهاية أنه مجنون بالفعل ٠٠ ومن مظاهر هذا الجنون أو هذا الاقتناع بالجنون ، تلك الرسائل الغريبة التى يرسلها بلا كلل الى الرئيس الأمريكى بالبيت الأبيض والبابا والفاتيكان والفيلسوف الوجودى هيدجر فى قبره ولأشخاص مجهولى الأسماء والعناوين وتنتهى الرواية فى ليلة موحشة من ليالى الشتاء ، خرج فيها هيرزوج ليطوف حول بيت زوجته الاولى ومسدسه بيده ، ويظل

هكذا حتى يطلع النهار لتكون احدى السيارات العابرة قد صـــدمته فيسقط صريعا امام بيت زوجته وأم ابنته الوحيدة ٠

وهكذا تبدو الرواية ترجمة ذاتية للكاتب فيما عدا حـادث الموت الا انها ليست كذلك ٠

و « هيرزوج » رواية فكرية ولكنها لاتنتمى الى الأدب الأمريكى فى شىء ، فيظل صول بيلو يمر بأزمة طاحنة ، تركته زوجته بعد أن جردته من كل شىء حتى من ابنته ، وزوجته الثانية هجرته بلا سبب والجامعة طهرته وطردته بلا واقعة ثابتـــة ٠٠ ويمكن القول بأن « هيرزوج » مجرد كتاب مختصر فى الفكر قصد به « بيلو » اذهال القارىء الأمريكى العادى بوضعه امام ثقافـــة رفيعة تتمثل فى تلخيص فلسفة كانط وهيدجر وغيرهما ٠٠ كما يمكن القول بانها « لا رواية » أو « ضد الرواية » وهى المصطلح الذى شاع أخيرا فى أعقاب استقرار « الرواية الجديدة » فى فرنسا ٠

هذا عن « هيرزوج » أهم روايات « صول بيلو » ٠٠ فماذا عن أهم آراء « صول بيلو » ومواقفه ؟

يثير « بيلو » قضية من أهم القضايا رغم قدمها وهى قضـية الالتزام ٠٠ فمن هو الأديب الملتزم ؟ وبأى شىء يلتزم ؟ وما هى العلاقة بين الالتزام والحرية ؟ وهل هناك أديب لا ملتزم ؟

وبرغم اجابات « جان بول سارتر » على هذه الأسئلة فى كتابه « ما الأدب ؟ » الصادر عام ١٩٤٨ ، الا أن « صول بيلو » له آراء جديدة وجريئة معا نلمسها فى رواياته الأخرى الى جـــانب روايتى « هيرزوج » و « صانع المطر » وأهمها رواية « مغامرات أوجى مارسن » ، التى نال عنها جائزة ايوارت وجائزة فورمنتور ٠

فصول بيلو يرى ان الكاتب حر فى أن يلتزم وفى الا يلتزم

وليس النقد بوصى عليه مهما كانت حججه ·· ثم يندد « بيلو » بديكتاتورية الأساتذة والنقاد وتأثيرهم على الأدب ، فهو يرى أن لكل صاحب نظرية وكل معتنق لمذهب لا يتعرض بالنقد لعمل ما أدبيا أو فنيا الا وحاول أن يلف فيه على كل ما من شأنه تجريح هذا العمل أو ذاك ، ولا يمتدح العمل الا اذا وجد فيه ما يخدم قضاياه ، وكأن النقد يريد بذلك أن يسخر الكتاب والفنانين لخدمة معتقداته هو ، بل يصل الى حد الالتزام بترويج هذه المعتقدات والدفاع عنها ·· وعند « بيلو » أن مهمة النقد هى دراسة العمل وتحليله بناء على أسس ونظريات نقدية لا تدخل فى دائرة السياسة ولا الدين ولا الاخلاق ولا حتى النظم الاجتماعية ، هذه الأسس وتلك النظريات هى اصلا قائمة على الخلق والابداع الذى يخضع لعلم الجمال ·

ولكن مافات « صول بيلو » هو أن بعض هذه النظريات النقدية قائمة بالفعل على علم الجمال ، ولكنها قائمة أيضا على أسس اجتماعية وسياسية بصفة خاصة ·· وتاريخ الأدب حافل بما نطلق عليه « الواقعية » و « الواقعية الاشتراكية » ولكن « بيلو » يعود فيهاجم المثقفين بصفة عامة و « الواقعية العلمية » و « الطبيعة » وهكذا ·· رغم اعترافه بأنهم « ذخيرة المجتمع وحماة المدولة » ·· وهو يهاجمهم بحجة أنهم مغرضون وان لهم اطماعا فكرية تدعو الى الخوف منهم وعدم الثقة فى آرائهم رغم احترامهم وتقديرهم ·

وبهذا يعلن « بيلو » عن التزامه واعترافه بضرورة الالتزام ، ولكنه الالتزام الحر ـ على حد تعبيره ـ فهو التزام لا يمس حرية الفكر والمفكرين ولكنه لا يتعارض ابدا مع معايشة الحياة المعاصرة والصدور عنها بكل ما فيها من مشاكل وقضايا وأمانى وأحلام ·

يقول « صول بيلو » نحن لا نريد مثقفين سلبيين كهؤلاء الذين يتخذون أماكنهم فى دور العلم أو فى مجالات النشر المختلفة ، وانما نريدهم ثوريين أولا ومثقفين بعد ذلك ·

ويرى « بيلو » ان أدباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا على معرفة حقيقية بالمشاكل الاجتماعية ٠٠ أما أدباء القرن العشرين فقد تركوها لمن يعملون فى مجالات التخصص ٠٠ ولذلك نادرا ما نجد أديبا من أدباء العصر يعالج مشكلة الحرب أو مشكلة الكفاح من أجل المساواة واذا تحقق هذا الشيء النادر وتكلم أحدهم عن مشاكل العصر فهو لا يضيف جديدا ، بل يكون حديثه انعكاسا لوجهات نظر الطبقة التى ينتمى اليها ٠٠ أما مشكلة المشاكل فهم انصاف المثقفين ـ ان صح هذا التعبير ـ فهؤلاء قادرون على تضليل الجمهور وتشويه الذوق العام خالقين بذلك مستويات مزيفة ومفاهيم خاطئة ٠٠ وهكذا يتغير وضع الكاتب ، فلم يعد هو ذلك الشخص الذى يبرىء الأرواح ويشفى النفوس كما كان فى القرن التاسع عشر ، بل هبط مستواه الى مجرد موظف روتينى فى صفحة الأزياء بالجريدة أو مجرد ناصح للعشاق والمراهقين ٠٠ ولا يعتقد « بيلو » ـ ولا نعتقد ـ ان هذه هى رسالة الكاتب الحق على الرغم من أن كثيرين يقبلون على هذه الأشياء ليصبحوا شخصيات جماهيرية مشهورة ٠

ويتعرض « بيلو » لمناهج التدريس فى المعاهد والجامعات مبينا ان التقليد الراسخ طريق خاطىء لأن التركيز على أعلام الأدب والفن فى العصور المنتهية دون الاهتمام بالعصر الحالى شيء من شأنه ابعاد الجيل الجديد من المتعلمين عن تيار العصر بمشكلاته وقضاياه ، وليست حجة عدم دراسة الأديب أو الفنان الا بعد موته حتى تكتمل أعماله ويصبح ملكا للتاريخ بالحجة التى يعمل لها أى حساب ، فجامعة السوربون تعمل بهذا المبدأ فى الدراسات العليا وحدها ولا ترتبط به فى السنوات الأولى حتى الليسانس ٠

ولا يتردد « صول بيلو » الأديب الأمريكى فى اعلان فكره الاجتماعى وهدفه الانسانى وهو التعايش السلمى واقرار السلام

والحرية فى عالم يحيا على أعصاب منهارة تتهدده القنبلة الذرية ويصدمه الخوف من تهور بعض الساسة والحكام ، أولئك الذين يسيطرون على الميزان الدولى ويستندون الى القوة الغاشمة ويعتمدون على الأسلحة الذرية اللا انسانية ٠

ان الخلاص ـ كما يرى بيلو ـ لم يعد فى يد الساسة والحكام بقدر ماهو بيد الأدباء والفنانين ٠٠ فسلاح المستقبل هو الكلمة والنغمة والصورة ٠٠ من أجل الخير والحرية والسلام ،

هذا هو « صول بيلو » الكاتب الأمريكى الحاصل على جائزة نوبل العالمية للآداب ٠٠ وهذه هى مبررات فوزه بالجائزة ٠

وفى التليفزيون وعلى صفحات بعض الجرائد أثيرت على صعيد النقد والأدب العربيين قضية الالتزام الأدبى وما يدور حول هذه القضية من أسئلة وتساؤلات : من هو الأديب الملتزم ؟ وبأى شىء يلتزم الأديب ؟ وماهى العلاقة بين الالتزام والحرية ؟ وبين الالزام والالتزام ؟ وماهى مواصفات الأدب الملتزم ؟ وهل هناك أديب لا ملتزم ٠٠ لا ملتزم بماذا ؟ وكلها أسئلة أو تساؤلات قديمة بطبيعة الحال ٠ قديمة لأن تاريخها يرجع الى صدور كتاب « ما الأدب ؟ » عام ١٩٤٨ للفيلسوف الوجودى جان بول سارتر أكبر من طرح قضية الالتزام للمناقشة وأروع من تقدم فيها برأى حتى الآن ، ومؤدى رأيه أن الالتزام هو التعمق فى وعى العصر بما لا يتعارض مع الخلود ، فالمسائل الموقوته والقضايا المحلية لا تموت بانتهاء العصر كما يظن البعض ٠ والكتابة ، داخل اطار الالتزام ، هى كشف للعالم ولجوء الى ضمير الآخرين ، اذ لا يحال برسومها وأشكالها وانغامها على مدلول آخر كما هى حال الأدب ، أما التصوير والنحت والموسيقى ، فهى فنون ليست مطالبة بالالتزام ، ذلك أنها أدوات لا يمكن أن تتساوى بالكلمات ٠

وليس المهم ان يعاد الكلام فى قضية الالتزام مرة أخرى ولكن المهم هو الدلالة الثقافية والاجتماعية التى دعت الى اعادة النظر فى هذه القضية القديمة من جديد ·· لا على الصعيد العربى فحسب، بل وعلى الصعيد الاوروبى أيضا ··

فقد طرح ملحق « الفيجارو ليتيرير » أراء عديدة وموضوعات اضافية عن الصراع الدائر بين النقد القديم أو التقليدى والنقد الجديد أو الحديث ، فعرضت وجهات النظر المختلفة فاردة لها صفحاتها ·· من أهم هذه الآراء التحليل الذى قدمه ريمون بيكار مؤلف كتاب « نقد جديد أم خداع جديد ؟ » وكذلك تفسير رولان بارت مؤلف كتاب « نقد وحق » ·

كما قدم الملحق الأدبى « للتايمز » تحليلا كاملا للكتابين معا وعرضا وافيا لكتاب سيرج دوبروفسكى « لماذا النقد الجديد ؟ » ·

ومنذ فترة ، عقد نادى بان مؤتمره الدولى الرابع والثلاثين وفيه نزل الكاتب الأمريكى الكبير صول بيلو بضربته القاضية على الأساتذة والنقاد الذين يتحكمون فى الأدب والادباء ·

ما الذى قاله صول بيلو ؟

قال ان الكاتب أو الفنان حر فى أن يتبنى قضية أو يدافع عن مبدأ أو يعضد نظاما ، وحر كذلك فى أن يؤمن بنظرية « الفن للفن » أو « الفن للحياة » أو « الفن لله » ·

فمن حيث يصدر الكاتب أو الفنان ينطلق الناقد ، لأنهما ان لم يقفا على قاعدة واحدة أصبحا متباعدين تباعد طرق الصحراء أو شاطىء البحر ··

هؤلاء المثقفون ، ويقصد بهم الأساتذة والنقاد ، هم ذخيرة

المجتمع وهم حماة الدولة ، غير أن أطماعهم الفكرية تجعل الخوف منهم يقف جنبا الى جنب مع احترامهم · فاذا كان ينظر اليهم وحتى الى الطليعيين منهم فى فجر الحرب العالمية الثانية على انهم لا منتمون ولا مهتمون وقليلو الاكثرات فان الوضع اليوم قد تغير ، وأصبح الطليعيون وحتى « التأخريون » مسئولين مسئولية كاملة تجاه الأدب والأدباء وتجاه الفن والفنانين وتجاه المجتمع ونظمه وتجاه الدولة وبنائها وتجاه العالم وسلامه وتجاه الانسانية كلها ·

وهكذا نجد أن صول بيلو الذى بدا فى بداية حديثه وكأنه كاتب غير ملتزم ، الا أنه سرعان ما عاد ، وقبل أن يستكمل هذا الحديث ، ليكشف عن كاتب يتربع فوق قمة الالتزام ·· هذا الالتزام الذى يعنى به معايشة الحياة المعاصرة والصدور عنها ، كما يعنى به عدم المساس بحرية الفكر والمفكرين ··

وكما تعرض بيلو لمناهج التدريس تعرض كذلك للأساتذة ، مؤلاء الذين يخرجون أجيالا متعاقبة من الشباب ينتشر فى القطاعات الثقافية عاملا بالتدريس أو مشتغلا بالكتابة أو متمرسا بالصحافة أو « موظفا » بدور النشر أو « موزعا » على أجهزة الأعلام هؤلاء الأساتذة يخلعون تأثيرهم بالكلاسيكيين المحدثين : جويس وشو وبروست واليوت ولورانس وفاليرى ·· على هذه الأجيال التى تؤثر بدورها على الجيل العاصر وما بعده من أجيال ·

ولكن ، هل يصل فهم أولئك وهؤلاء جميعا الى الدرجة التى تسمح لهم بالحصول على لقب « مثقفين » كما حصلوا على لقب « خريجين » ؟

يقول صول بيلو ان الجامعات تخرج الافا مؤلفة من المؤهلين ولكنها مع هذا لا تخرج غير عشرات من انصاف المثقفين الذين يستكملون نصفهم الثقافى الآخر بعد تخرجهم من الجامعة وبعد

ممارستهم للحياة الأدبية ، مع مراعاة أن النصف الأول لم يحصلوه من الجامعة بقدر ما حصلوه من جهودهـــم الفردية وقراءاتهـــم الخاصة ٠٠ وهذا راجع الى المناهج والأساتذة ٠٠ فالمناهج مكدسة وغير وافية والأساتذة مجرد « ناقلين » أو « شراح » ، ويبقى الخلق للنقاد خارج منابر العلم ٠

واعلن بيلو وسط ٥٠٠ عضو يمثلون ٥٥ دولة أن تعليم اللغات الحية أفضل وأنفع من اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات القديمـــة الا بالنسبة للمتخصصين ، والمتخصصين جدا ، فالدارس يضيع وقته فى تحصيل مبادىء هذه اللغات المتآكلة دون اجادة تامة لها ، وما ان يخرج الى الحياة العملية حتى ينساها لأنه لا يمارسها نتيجة غيابها عن مطالب الحياة ٠

أما معرفة اللغات القديمة فيمكن الافادة منها فى نقل التراث الى اللغات الحديثة أو فى اكتشاف الآثار والكشف عنها ٠ وهذه مهمة تشبه تماما الاهتمام بتدريس أعمال الأدباء والفنانين ، منذ فجر التاريخ وحتى القرن التاسع عشر ، دون الالتفات الى المحدثين والمعاصرين ٠

الا أن حركة الترجمة يجب أن تنصب على النقـل من والى اللغات الحية الحديثة للتقريب بين الشعوب التى تعيش فى ظروف عصر واحد ٠٠ وبهذا يسهل الالتقاء حول فكر اجتماعى له هدف انسانى واحد ، والاتفاق على مبدأ وحيد هو ولا جدال مبدأ التعايش السلمى واقرار السلام والحرية ٠

وهكذا نجد ان صول بيلو قد نقل الأدب والفن الى قلب المعركة السياسية مع الفكر النقدى من أجل حياة آمن ، بل ووضـــع على عاتقهما ، الأدب والفن ، مسئولية تدعيم السلام وفض النزاع القائم بين المعسكرين الخطيرين ٠

وفى نهاية حديثه أعرب صول بيلو عن أسفه الشديد على الوقت الذى يضيعه أعضاء المؤتمرات الدولية بأنواعها المختلفة ·· فهم لا يدخلون بخطة عمل واضـــحة ولا بنوايا صـادقة فتكون النتيجة أن يخرجوا بدون أهداف وحتى ان هم سجلوا عددا قليلا من الأهداف فانهم لا يضعون لها قوانين تحميها وتكفل ضمان تطبيقها · فالقوة دائما هى الحق ·· أو كما قال الشاعر الفرنسى الكبير لافونتان فى عبارة شهيرة له « ان منطق الأقوى هو دائما المنطق الأفضل » ·

ولكن صول بيلو الكاتب التقدمى المؤمن بعدالة المصير ، مصير الانسان ، وبالامل فى الانسانية ، انسانية كل الشعوب ، يعود ليؤكد أن سلاح المستقبل هو « الكلمة » كلمة كل المثقفين التى تستطيع وحدها ان تجمع شعوب الأرض حول النداء الحار من أجل الخير والحرية والسلام ·

## ماركيز .. بعد فوزه بجائزة نوبل

هو « جابرييل جارسيا ماركيز » مؤلف « ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ١٩٥٥ و « مائة عـام من العزلة » ١٩٦٧ و « خريف البطريرك » ١٩٧٥ .. فضلا عن روايتيه « مأتـم الأم الكبيرة » و « الازمنة الصعبة » وقصة فيلم « لا لصوص فى هذه المدينة » بالاضافة الى سيناريوهات عدد من أفـلام « الموجـة الجديدة » وتحقيقات صحفية أشهرها « قصة غرق البحـارة الكولومبيين » و « عملية شارلوت » التى اقتحمت فيها القوات الكوبية انجولا .. الى جانب رحلاته الصحفية والثقافية الى برشلونة وباريس وهافانا ونيويورك وكاراكاس .. وصداقاته بجيفارا وكاسـترو وسـنجور وبابيخو ونيرودا .

ولد « جابرييل جارسيا ماركيز » عام ١٩٢٨ بمدينة الجبال والتلال « اراكاتاكا » الكولومبية . وانتقل الى مدينة بوغوتا ليلتحق بمدارس الجزويت ثم بكلية الحقوق ولكنه هجر المحاماة الى الصحافة فعمل بجريدة « الاسبكاتاتور » وأنشأ وكالة أنباء « بريتسالاتينا » حتى استقر فى باريس والى الآن ، عندما فاز بجائزة نوبل العالمية فرع الأداب حيث جاء فى تقرير لجنة الجائزة السويدية باستوكهولم « ومنحت جائزة الآداب للكولومبى جابرييل جارسيا ماركيز لرواياته التى يمتزج فيها الخيال بالواقع فى ظل تركيبة ثرية لعالم شعرى » .

اكتسب « ماركيز » عالميته ـ بعد أن ترجمت رواياته الى ست عشرة لغة ـ من محليته الشديدة فكل موضوعاته تدور فى مدينـة « ماكوندو » الساحلية التى لا تمثل كولومبيا وحدها أو أمريكـا

اللاتينية كلها ، ولكنها تمثل فى الوقت نفسه العالم بأسره وفى لاتعبر عن المكان أو الأمكنة بقدر ما تعبر عن الحالة الوجدانية والفكرية ، حالة انسان النصف الثانى من قرننا العشرين ·· فاذا كان « ماركيز » قد استهدف قضايا مجتمعه ، الا أنه لم يغفل للحظة قضايا الانسان دون مباشرة وبغير تلميح فى الوقت نفسه · فلا ظل عنده للواقعية أو الرمزية ، بل يكاد يقترب أدبه من « الموجة الطليعية الجديدة » وان ابتعد تماما عن العبثية واللا معقول ·· هو أدب « الواقعية الشعرية » أو « الخيال الواقعى » وهو أدب « البحث عن أسلوب خاص ومتميز » ، لأن الكاتب ـ فى رأيه كما فى رأى الأقدمين والمحدثين ـ هو الأسلوب فكل ما يمكن أن يقال قد قيل منذ زمن بعيد ، ولا تبقى الا طريقة القول وهذه الطريقة هى الشكل أو الأسلوب ·

لقد اعترف النقاد ـ وفى مقدمتهم فرناندين برازو ، وانجيل راما ـ بأن « ماركيز » هو الذى كشف عن موسيقية اللغة الاسبانية التى ترفعها الى شفافية وشاعرية اللغة الفرنسية فى مجال الأدب وخاصة فى النثر الروائى ·

وهذا ما يذكرنا بتفرقة « جان كوكتو » الشهيرة بين شعر اللغة واللغة الشاعرة أو بين شعر المسرح والشعر فوق المسرح فماركيز يحمل فى داخله ـ وهو ينتقل بين الواقع والخيال من ناحية وبين الوهم والحقيقة من ناحية أخرى ـ تراث وأثر وتأثير « شاتوبريان ولامارتين ودوماس وسكوت وبلزاك وفلوبير وفولتير وزولا » بحيث يغلف مضامينه بحرص وشفافية فلا يتركها عارية مكشوفة ولا يحكم استغلاقها ، فهو يركز على الفكرالقومى ويتطرق الى النظريات السياسية والاقتصادية ويتعرض للاوضاع الاجتماعية والآراء الأخلاقية والمواقف الانسانية ، وهو يرسم شخصياته ويحللها بدقة ويصف الأماكن والأشياء ببراعة من بطل الرواية الى عابر

السبيل من البيت الى حبة الرمل ، فى جو كونى ضارب فى جذور الماضى ، جاثم على صدر الحاضر ، محلق فى سماء المستقبل ·· انسان ماكوند وهو الماضى وانسان أمريكا اللاتينية وهو الحاضر وانسان العالم وهو المستقبل ·

عالم الفكر والأدب والفن اذن هو « جابرييل جارسيا ماركيز » الذى يؤمن بأن الكتاب والفنانين ليسوا « مركز الكون » ولكنهم « ضمير المجتمع » · كما يؤمن بأن « قارىء العصر » لا يقل ذكاء وادراكا عن « كتابه » فهو لا يحتاج الى من يطلعه على مآسيه أو يكشف له عن غياب العدالة ، لأنه يعرف كل هذا ويعرف أكثر من هذا حياة ومعاناة ، وأنما هو بحاجة الى فكر جديد وأدب جديد وفن جديد ، ففى الفكر والأدب والفن ـ الجاد والجديد ـ توعية وتحريض أو استشراف وتبشير ·

اتخذ « ماركيز « من » الانسان « محورا لفكرة الرفيع ، فرفعه « الانسان » الى قمة كتاب العصر المبدعين ·